وأما إنشاء القاضي شرف الدين صاحب هذه الترجمة فمن نثره كتاب بشرى بالنيل هو : لا زالت البشائر تستمتع بمحاورته وتغتبط بمجاورته وتود لو استقر بذراه قرارها وطال معه سرارها هذه الجملة تبشره بنعمة عظمت مواهبها وعذبت مشاربها وانتشرت في البسيطة مذاهبها وروت الآمال الظماء وضاهت الأرض بها السماء وأغنت عن منة الغمام وعممت مصر بالهناء حتى فاض إلى الشام ؛ وهي وفاء النيل الذي وفى وفي وفائه حياة البلاد والعباد وشكر النعمة به متعين على الحاضر والباد .

ومن إنشائه . ورد كتابه فتمتع منه بعرائس أبكار الأفكار وتملا منه بنفائس من أنفاس الأزهار وشاهد كل سطر منه أحسن من سطر وكان ناظره صائماً عن النظر لبعده فأوجب عليه عند قدومه فطرا وردد فكره في بدائعه الرائقة الرائعة ورأى التشريف بإرساله من جملة صنائعه المتتابعة ووقف عليه وسر بدنوه وإيابه وشكر الأيام التي خولته من اقترابه ما لم تطمعه الأوهام في تمثيله ولم يدر في حسابه وا تعالى يقرن اليمن بهذه الحركة ويجعلها مشتملة على السعادة مخصوصة بالبركة .

ومنه نسخة كتاب كتبه عن نائب السلطنة بالشام لما قدم المبارك الذي ادعى أنه ابن المستنصر : " سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " : .

ليهنك النعمة المخضر جانبها ... من بعد ما اصفر في أرجائها العشب .

ضاعف ا جلال الجناب الشريف العالي المولوي السيدي النبوي وجعل قدومه كاسمه المبارك على الإسلام : .

واسم شققت له من اسمك فاكتسى ... شرف العلو به وفضل العنصر .

وأورد ركابه الأرض الشامية ورود الغمام وبين أنوار الخلافة على جبين مجده فلا تضام النواظر في رؤيتها ولا الأفرام وأضاء بوجوده بيت الإمامة من يعود إلى عوائده الحسنى في سالف الأيام وسخر له العزائم والشكائم وجعل من شيمته السيوف والأقلام . ورد الكتاب الكريم تبدو البركات من صفحاته وتسري نسمات السعد من أنفاس كلمه الطيب ونفحاته وكان كالسحاب إذا سح وابله وكالذكر المحفوظ إذا عمت ميامنه الإسلام وفواضله وكالبدر وافته لوقت سعوده وتم سناه استقلت منازله فتلقاه حين ألقى إليه من سماء الشرف بالإعظام وحل الواردون به من مواطن القبول محل الملائكة الوحي الكرام وتلا على من قبله : يا بشراي هذا سيد ولم يقل هذا غلام ! .

فأي قلب لم يسر بمقدمه وأي طرف لم يستطلع أنوار مطلعه على الدنيا ومنجمه .

من شعره يمدح الملك المنصور قلاوون الألفي : .

تهب الألوف ولا تهاب لهم ... ألفاً إذا لاقيت في الصف .

ألف وألف في ندى ووغى ... فلأجل ذا سموك بالألفي .

ومنه لما ختن الملك الناصر محمد : .

لم يروع له الختان جناناً ... قد أصاب الحديد منه الحديدا .

مثلما تنقص المصابيح بالقط ... فتزداد في الضياء وقودا .

ومنه : .

كتبت والشوق يدنيني إلى أمل ... من اللقاء ويقصيني عن الدار .

والشوق يضرم فيما بين ذاك وذا ... بين الجوانح أجزاء من النار .

ومنه : .

في ذمة ا ذاك الركب إنهم ... ساروا وفيهم حياة المغرم الدنف .

فإن أعش بعدهم فرداً فيا عجبي ... وإن أمت هكذا وجداً فيا أسفي .

ومنه تهنئة لفتح الدين ابن عبد الظاهر ببنت : .

أمولاي فتح الدين هنئ خدركم ... بقرة عين للصيانة والمجد .

ومتعتم فيها بأيمن غرة ... مباركة في الصالحات من الولد .

وصين بين سعد حماكم وعشتم ... ميامين فرسان اليراعة والحمد .

وعوذتم من عين حاسد فضلكم ... ومجدكم في الدست يوماً وفي المهد .

فأولادكم إما بدور فضيلة ... وإما شموس هن أخبية السعد .

فبورك فيها طلعة فلربما ... أفاد بني سعد فخاراً بنو نهد .

النشو ناظر الخاص